المجلة العربية الدولية للتربية والتعليم
IJATL International Journal of Arabic Teaching and Learning
Vol. 02 No. 02 Juny -Des 2018
ISSN :2549-4813 E-ISSN : 2549-368X

# المدرسة النحوية في البصرة والكوفة

Umar Manshur

**Universitas Nurul Jadid (UNUJA) Paiton**

umarmanshur@yahoo.co.id

**مستخلص البحث**

إن أهم سبب في وضع النحو العربي يرجع إلى الحرص الشديد في الحفظ على القرآن الكريم من اللحن ، فبدأ أبو الأسود الدؤلي بوضع الحركات على شكل النقطة فوق أحرف المصحف وتحتها وأمامها، ثم وضع القونين النحوية المستنبطة من القرآن الكريم وأقوال العرب. فتطور علم النحو في البصرة على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، وتتميز دراسة النحو في البصرة بالدقة والحيطة في اختيار النصوص لوضع القواعد النحوية. فالدراسة النحوية في الكوفة تطور على يد الكسائي الذي تعلم النحو إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، وتتميز دراسة النحو في الكوفة بالتوسع في القياس وكثرة الترخص في الأحكام النحوية.

**الكلمات الأساسية: المدرسة النحوية، البصرة والكوفة**

## أساسيات البحث

### المقدمة

إن اللغة العربية نشأت في أحضان جزيرة العرب خالصة لناطقها وساليمة مما يشينها من اللغات الأخرى. والعرب في الجاهلية وصدر الإسلام نطقوا بهذه اللغة سليقة، ولم يحتاجوا إلى القواعد اللغوية يتعرفون بها على الأساليب

الصحيحة، بل كان عمادهم في الكلام مبني على الفطرة السليمة، يشب الغلام منهم مملوء بالعبارات الصحيحة سمعها من أهله وبيئته، فتجود ملكته بالتراكيب السليمة والعبارات المنسجمة. بل صار كلامهم مؤخرا من مرجع أساسي بعد القرآن الكريم في وضع القواعد اللغوية والنحوية.

فلما انتشر الإسلام واتسعت الدولة الإسلامية بالفتوحات إلى الأقطار غير العربية واختلط الفاتحون من العرب بالأعاجم من الشعوب الرومية والفارسية والأحباش ودخل كثير من الشعوب المفتوحة في الإسلام وتعلموا العربية ليستطيعوا قراءة القرآن الكريم، نشأ عن هذا الإختلاط بين العرب والعجم الذين أفسدوا اللغة فسادا ما هو يسمى باللحن[١]، واللحن هو الخطأ في الإعراب. فهذا اللحن هو الذي دفع أبا الأسود الدؤلي للمبادرة بوضع القواعد النحوية لحماية القرآن الكريم من اللحن والخطأ.

قد بدأ اللحن قليلا خفيفا منذ أيام رسول الله ﷺ، فقد روي أن الرسول سمع رجلا يلحن بكلامه فقال: أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل[٢]. وأن اللحن قد كان معروفا بهذا الإسم في عهد النبي ﷺ، وذلك أن السيوطي روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنى لي اللحن[٣].

واستمر اللحن إلى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقد روي أنه مر على قوم يسيئون في الرمي فقرعهم فقالوا: "إنا قوم متعلمين"، فأعرض مغضبا وقال: والله لخطئكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في رميكم. وروي أيضا

[١] محمود موسى حمدان، *مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين في ضوء النظر البلاغي*، القاهرة، مكتبة وهبة، ٢٠٠١، ص: ١.

[٢] أبو الفتح عثمان ابن جني، *الخصائص*، بيروت، عالم الكتب، ج: ٢، ص: ٨.

[٣] جلال الدين السيوطي، *المزهر في علوم اللغة*، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨، ج: ٢، ص: ٣٤١.

أحد ولاة عمر بن الخطاب ﷺ كتب إليه كتابا لحن فيه فكتب إليه عمر أن قَنِّع كاتبك سوطا[٤].

**بداية دراسة النحو بنقط المصحف**

فقد اختلف الرواية في أول من تكلم النحو كعلم وأسس له قواعد وتقسيمات، ولعل أول من تكلم بهذا العلم هو أبو الأسود الدؤلي الذي وضع الحركات الثلاث المشهورة في القرآن الكريم، ألا وهي الفتحة والكسرة والضمة على شكل النقطة فوق الحرف وتحته وأمامه. وأن أبا الأسود الدؤلي ذات مرة طلب كاتبا أن يحضر المصحف وأحضر صبغا يخالف لون مداد المصحف، وقال للكاتب: إذا فتحت فاي فاجعل نقطةً فوق الحرف، وإذا كسرت فاي فاجعل نقطة تحت الحرف، وإذا ضممت فاي فاجعل نقطةً أمام الحرف، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فاجعل نقطتين[٥].

وفي رواية أخرى تقول بأن عليا كرم الله وجهه هو أول من ابتكر علم النحو واخترعه. وذلك أن أبا الأسود الدؤلي كان على سطح بيته مع بنته ذات ليلة، فرأت السماء ونجومها وحسن أنوارها، فقالت يا أبت ما أحسنُ السماء، فجعلت أحسن مرفوعة. فظن أنها تسأله عن أي شيء أحسن منها فقال أي بنية نجومها فقالت موضحة: يا أبت إنما أردت التعجب من حسنها فقال قولي ما أحسنَ السماء. فلما أصبح أخبر أمير المؤمنين عليا ﷺ بالقصة، فقال علي

[٤] الشيخ محمد الطنطاوى، *نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة*، د.م، دار المنار. ١٩٩١، ص: ٧.

[٥] أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠، ج: ٣، ص: ١٥٥.

هذا بمخالطة العجم. فأملى عليه بعد أيام أقسام الكلام ثلاثة اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وجملة من باب التعجب وقال انح نحو هذا[٦].

إن بداية دراسة النحو بدأت من عصر أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ)، حيث تعلم إليه تلاميذه من قراء القرآن الكريم الذين يعدون من أئمة النحو في البصرة، وهم نصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ) وعبد الرحمن بن هرمز (ت ١١٧ هـ) ويحيي بن يعمر (ت ١٣٩ هـ). وكل هؤلاء قد نقطوا المصحف وأُخذ عهنم النقط وحُفظ وضُبط وقُيّد وعُمل به واتبع فيه سنتهم واقتدي فيه بمذاهبهم[٧]. وكان عملهم في تطوير ما ورثه أبو الأسود الدؤلي متركزا في مسئلتين، وهما نقط المصاحف وإضافة أبواب نحوية جديدة.

فالنقطة المشهورة بنقطة الإعراب التي خلفه أبو الأسود الدؤلي لا تسلم القرآن الكريم من التصحيف، فقد ظهرت بعد ذلك مشكلة أخرى وهي عدم تمييز حروف الهجاء المتشابهة بعضها من بعض. فكثرة التصحيف بين العامة في قراءة القرآن الكريم بسبب تشابه حروف الهجاء فزع بها الحجاج بن الثقافي–ولي العراق في عصر عبد الملك بن مروان– وطلب من نصر بن عاصم الليثي أن يضع للحروف المتشابهة علامات ليميز بعضها من بعض. فاستجاب لهذا الطلب، وقام بنقط المصحف بالنقط الجديد، وسمي هذا النقط بنقطة الإعجام للتفريق بينه وبين نقطة الإعراب[٨].

[٦] أبو أسحاق برهان الدين محمد الوطواط، *غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة*، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨، ج: ١، ص: ٢٤٨–٢٤٩

[٧] عثمان بن سعيد الداني، *المحكم في نقط المصاحف*، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٧هـ، ج: ١، ص: ٦.

[٨] صلاح رواى، *النحو العربي نشأته تطوره مدارسه رجاله*، القاهرة، القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٣، ص: ٦٦.

ولما كثرت النقطة في حروف القرآن الكريم أدى ذلك إلى تصحيفه من جديد، وذلك نتيجة تشابه نقط الإعراب بنقط الإعجام، مما جعل العامة يفكرون في التمييز بين نقط الإعراب ونقط الإعجام. فجعل يحيى بن يعمر العدواني نقط الإعراب بمداد من لون مخالف لنقط الإعجام، جعل نقط الإعجام بمداد من نفس لون الحرف وجعل نقط الإعراب بمداد اللون المخالف للون الحرف ونقط الإعجام[٩].

وختمت الأعمال في العناية بالقرآن الكريم على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي ابتكر علامات الإعراب بدلا من نقط الإعراب، وقد استوحى الخليل هذه العلامات من حروف المد، واستوحى تسميتها من قول أبي الأسود الدؤلي للكاتب عند ضبط المصحف بالنقطة. فأبدل النقطة فوق الحرف ألفا مبطوحة فوق الحرف ورمز هكذا (ـَـ) وسمى هذه العلامة فتحة، وأبدل النقطة تحت الحرف ياءً متصلة تحت الحرف ورمز هكذا (ـِـ) وسمى هذه العلامة كسرة، وأبدل النقطة أمام الحرف واوا صغيرة فوق الحرف ورمز هكذا (ـُـ) وسمى هذه العلامة ضمة[١٠].

## دراسة النحو في البصرة

إن مدينة البصرة كان إنشاؤها على طرف البادية سنة ١٥ هـ في عهد أمير المؤمنين عمر الخطاب ﷺ. أما ناحية الإنسجام السكاني فإن في البصرة استقرار، وفيها ما يشبه عدم الفوارق بين الطبقات، وفيها ما يشبه الإندماج بين العناصر المختلفة عربية كانت أو غير عربية، وفي مشاركة في الأعمال بين الطبقات المختلفة، وفيها اشتغلال بالأعمال التجارية. وأكثر سكانها من قبائل

[٩] صلاح رواى، *النحو العربي نشأته تطوره مدارسه رجاله*، ص: ٦٦-٦٧.

[١٠] مهدي المخزومي، *مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو*، القاهرة، مصطفي البابي الحلبي، ١٩٥٨، ص: ١٩.

Vol. 02 No. 02 Juny -Des 2018
ISSN :2549-4813 E-ISSN : 2549-368X

العرب الفصحاء، مثل قيس وتميم الذين بقوا عروبتهم بأصفى لغة، وقبائل العربية السليقة من بوادي نجد، بالإضافة إلى الأعراب من داخل الجزيرة العربية الذين يفدون إلى البصرة ليشهدوا سوق المربد التي تماثل سوق عكاظ[١١].

فمدينة البصرة كانت مولد النحو ومهده، وفاتحة أبوابه حيث أن النحو استغلظ على أيدي أئمة النحو في البصرة، ومن أعلامهم؛ عبد الله بن أبي إسحاق (ت ١١٧هـ) والخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) وسيبويه (ت١٨٠هـ). وقد سيطر اتجاه النحو البصري على الأفكار النحوية العربية منذ نشأته إلى العصر الحاضر، وقد تأثر منهم كثير من أئمة النحو في الكوفة والبغداد ومصر والشام والأندلس.

أ – نشأة النحو في البصرة

إن المؤسس الحقيقي لمدرسة البصرة النحوية هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، لقد وهبه الله ذكاء وملكة مبتكرة التي ساعدته على معرفة أسرار العربية وإدراك خصائصها وفهم نظامها وتركيب أساليبها. فقد وصل الخليل إلى الغاية في استخراج مسائل النحو، وتصحيح القياس فيه، وهو أول من استخرج العروض وحصر أشعار العرب، وألف كتاب العين المشهور الذي يتهيأ به ضبط اللغة[١٢].

وقد تعلم إلى الخليل كثير من معاصريه وأفاد منه علمه وفضله، ومن أشهر تلاميذه عبد الملك بن قريب بن أصمع بن مظهر الباهلي أبو سعيد الأصمعي، وأبو بشر عمرو بن عثمان ابن قنبر الملقب بسيبويه (ت ١٨٨هـ)، وأبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥ هـ)، والنضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ)، وعلي بن نصر الجهضمي (ت ١٨٧ هـ) وغيرهم.

[١١] السيد رزق الطويل، *الخلاف بين النحويين دراسة وتحليل وتقويم*، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، ١٩٨٤، ص: ٣٧-٣٨.
[١٢] سعيد الأفغاني، *في أصول النحو*، ، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٧، ص: ١٧٢.

وقد كان لكتاب سيبويه فضل وأثر كبير في علماء النحو بعده، وخاصة فيمن بعده من أئمة النحو في البصرة مثل أبي علي مُحَمَّد بن المستنير الملقب بقطرب (ت ٢٠٦ هـ)، وأبي الحسن سعيد بن مسعدة الملقب بالأخفش الأوسط (ت ٢٠٨ هـ)، وأبي عمر الجرمي (ت ٢٢٥ هـ)[١٣]، وأبي عثمان المازني (ت ٢٤٩ هـ)، وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٠ هـ)، وأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥ هـ) .

ب – خصائص النحو في البصرة

كان سكان البصرة أعرق في الفصاحة، وكانوا أيضا على صلة بالبادية يرحلون إليها لمشافتة أهلها والأخذ عنهم، ولذلك فإن المعين الذي استمد منه البصريون اللغة العربية معينا صافيا غزيرا بعيدا من الشوائب نقيا من أثر الشك وعوامل الضعف، وكانت الشواهد التي اعتمدوا عليها صحيحة مطردة. فلذلك تميز نحاة البصرة بعدة الخصائص الآتية[١٤] :

أولا أن نحاة البصرة سبقوا نحاة الكوفة في الإشتغال بالنحو من إقامة قواعد عامة وتأسيس قوانين كلية للغة في الرفع والنصب والجر والجزم.

والثاني أن نحاة البصرة اقتصروا في أخذ النصوص اللغوية على الأعراب الفصحاء الذين يحتج بكلامهم، وعلى الرواة المقطوع بالثقة فيهم.

والثالث أن نحاة البصرة وقفوا من القراءات القرآنية الموقف المتشدد، وأخضعوا القراءات القرآنية لأصولهم وأقيستهم فما وافق منها أصولهم ولو بالتأويل قبلوه وما لم يوافق رفضوه. وحاولوا في بعض الأحيان إكراه النصوص القرآنية على قبول معان خاصة وأوضاع بعينها لتطابق قواعدهم وتتلاءم معها.

[١٣] مصطفى عبد العزيز السنجرجى، *المذاهب النحوية فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة*، د.م، الفيصيلة، ١٩٨٦، ص: ٢٨.

[١٤] عبد الكريم مُحَمَّد الأسعد، *الوسيط فى تاريخ النحو العربى*، الرياض، *دار الشواف*، ١٩٩٢، ص: ٣٩–٤١.

والرابع أن نحاة البصرة تأثروا بالمعارف العقلية تأثرا عميقا. وقد تمثل تأثرهم في حرصهم على الحدود والرسوم وإكثارهم من التأويل والتقدير والتوجيه حين يصطدم أصل من أصولهم بسماع غير مشهور ليتمشى مع قواعدهم العامة، كما تمثل تأثرهم في ميلهم الشديد إلى القياس واعتدادهم به واعتمادهم عليه ةعنايتهم البالغة به والتزامهم الدقة في إجرائه وفي إقامة علله، مع حرصهم الفائق على أن يجري القياس على المسموع الفصيح المطرد فقط، فبذلك امتنعوا القياس على الشاذ لأنه مع فصاحته قليل ونادر كما امتنعوا من القياس النظري عند انعدام الشاهد.

والخامس أن نحاة البصرة شغلوا برغبتهم واهتمامهم إلى وضع القوانين والقواعد لمادة اللغة، وهي قوانين وقواعد اعتمدت على أسس فلسفية وتأثرت بالروح المنطقية. وهذا قد أدى إلى تقنين أصول النحو البصري في قوالب ثابتة مضبوطة وإلى وضع قواعده في قوانين دقيقة محددة مما جعلها تتسم بالاطراد والتعميم، وجعل النحو البصري يقل فيه التجويز.

السادس أن نحاة البصرة تشددوا في الإلتزام بالقوانين التي وضعوها فلم يكثروا بما جاء من كلام العرب مخالفا لها ووقفوا منه مواقف تتأرجح بين الرفض الكامل له أو تأويله بما يوافق قوانينهم أو عده على سبيل ضرورة الشعر أو عده شاذا يحفظ ولا يقاس عليه حين لا يخضع لأية فئة من الفئات السابقة.

ج – أشهر أئمة المدرسة النحوية في البصرة

إن المدرسة النحوية في البصرة يرجع إليها الفضل في وضع علم النحو وتطوره ونضجه على يد لأبي الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه.

أما أبو الأسود الدؤلي فهو ظالم بن عمرو سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة ابن عدي بن الديل بن بكر الدؤلي، إنه واضع النحو، وكان أعلم

Vol. 02 No. 02 Juny -Des 2018
ISSN :2549-4813 E-ISSN : 2549-368X

الناس في عصره بكلام العرب، وهو أول من دون النحو كما أنه أول من ضبط المصحف بشكل النقطة فوق الحرف وتحته وأمامه. وكان من سادات التابعين صحب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شهد معه معركة صفين وكان من أكمل الرجال رأيا وأسدهم عقلا[١٥]. كان أبو الأسود الدؤلي أيام ولاية زياد على العراق معلما لأولاده، فجاء إليه يوما وقال: إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وفسدت ألسنتها، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم؟ فقال له زياد: لا تفعل. فجاء رجل إلى زيادٍ فقال: أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنون، فقال زياد: توفي أبانا وترك بنون! ادعوا لي أبا الأسود، فلما جاءه قال له: ضع للناس ما كنت نهيتك عنه. فوضع أبو الأسود للناس علم النحو يهتدون به إلى معرفة كلام العرب. ويقال إن أول ما وضع منه باب التعجب من أجل أن ابنته قالت له ليلة يا أبت ما أحسن السماء قال نجومها فقالت إني لم أسأل عن أحسنها إنما تعجبت من حسنها فقال قولى ما أحسن السماء[١٦]. ووضع منه باب الفاعل والمفعول به، والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم[١٧].

وأما الخليل بن أحمد فهو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي، ولد بالبصرة وشب على حب العلم، أخذ العلم عن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي وغيرهما، ثم رحل إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة وشافه الأعراب فملأه العلم في العربية، ثم عاد الخليل إلى البصرة وقد بلغ الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو، وبسط النحو ومد أطنابه وسبب علله، وفتق معانيه، وأوضح الحجاج فيه حتى بلغ أقصى حدوده[١٨]. وإذا كان لأبي الأسود الدؤلي فضل

[١٥] أبو العباس بن خلكان، *وفيات الأعيان*، بيروت، دار صادر، ١٩٩٤، ج: ٢، ص: ٥٣٥.

[١٦] اسماعيل بن كثير، *البداية والنهاية*، بيروت، مكتبة المعارف، دس، جك ٨، ص: ٣١٢.

[١٧] ابن سلام الجمحي، *طبقات فحول الشعراء*، جدة، دار المدني، دس، ج: ١، ص: ١٢.

[١٨] جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠١، ج: ١٧، ص: ٥٥.

في تكوين النحو، فللخليل بن أحمد الفراهيدي فضل في نهوض النحو ووضع فن الموسيقى العربية ووضع علم العروض والقافية، وهو أول من دون معجما في اللغة بتأليفه "كتاب العين".

أما سيبويه فهو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنْبَر، مولى بني الحارث بن كعب، الملقب بسيبويه (رائحة التفاح) لأن أمه كانت ترقصه بذلك في صغره، ولد بالبيضاء من سلالة فارسية، ونشأ بالبصرة، ورغب في تعلم الحديث والفقه حتى جاء ذات يوم إلى حماد بن سلمة لكتابة الحديث فاستملى منه قوله ﷺ "ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء"، فقال سيبويه ليس أبو الدرداء، فصاح به حماد "لحنت يا سيبويه إنما هذا استثناء". فقال سيبويه: والله لأطلبن علما لا يلحنني معه أحد، ثم مضى سيبويه فتعلم النحو ولزم الخليل وغيره. وقد برزع سيبويه في النحو حتى لقب بإمام النحاة، وهو أعلم الناس في النحو بعد الخليل. وألف كتابه الذي تمثلت فيه أهم أصول المنهج البصري بجانب ما اشتملت عليه من القواعد النحوية والأساليب العربية، سماه الناس قرآن النحو[١٩].

## النحو فى الكوفة

إن مدينة الكوفة أسست سنة ١٥ هـ في عهد أمير المؤمنين عمر الخطاب رضي الله عنه بعد تأسيس البصرة بستة أشهر. فيها هبط سبعون رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهدوا بدرا، وثلاثمائة من أصحاب الشجرة. فالكوفة بلاد الأدب ووجه العراق وهي غاية الطالب ومنزل خيار الصحابة وأهل الشرف. وأما سكانها فمن

[١٩] شوقى ضيف، *المدارس النحوية*، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨. ص: ٦٠.

Vol. 02 No. 02 Juny -Des 2018
ISSN :2549-4813 E-ISSN : 2549-368X

قبائل العرب من أربعة بيوت: آل زرارة الدارميون، وآل زيد القزاريون، وآل ذي الجدين الشيبانيون، وآل قيس الزبيديون[٢٠].

إنما يبدأ النحو الكوفي بدء حقيقيا بالكسائي وتلميذه الفراء. فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ووضعا أسسه وأصوله، وأعداه بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري، مرتبين لمقدماته ومدققين في قواعده ومتخذين له الأسباب التي ترفع بيانه.

أ – نشأة النحو فى الكوفة

إن دراسة النحو في الكوفة بدأت من عهد أبي جعفر الرؤاسي الذي نشأ بالكوفة ورحل إلى البصرة لتعلم النحو من علماء العربية فيها، ثم عاد إلى الكوفة. والرؤاسي أول من وصع من الكوفيين كتابا في النحو، ومن كتبه: الفيصل، والتصغير، ومعاني القرآن، والوقف والإبتداء الكبير، والوقف والإبتداء الصغير. وقد اشتغل الرؤاسي بالنحو في البصرة مع عمه معاذ بن مسلم الهراء، كان معاذ من أعيان النحاة، صنف كتبا في النحو، غير أن ولوعه في الأبنية غلب عليه حتى عده المؤرخون واضع الصرف. كان يبيع الثياب الهروية فلذلك قيل له: الهراء . وروى الحديث عن جعفر الصادق وعطاء بن السائب، وروى عنه عبد الرحمن المحاربي والحسن بن الحسين الكوفي. وأخذ النحو عنه أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي[٢١] الذي يعد مؤسسا حقيقيا للمدرسة النحوية في الكوفة.

ودرس على الكسائي تلاميذ لازموه في مجلسه ومناظراته، ودعموا المدرسة الكوفية حتى صاروا من أئمتها، منهم أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله الفراء، وكان من أكبر علماء الكوفة وأبرع الكوفيين في علمهم، ألف كتاب "معاني القرآن" و

[٢٠] السيد رزق الطويل، *الخلاف بين النحويين دراسة وتحليل وتقويم*، ص: ٣٨-٣٩.

[٢١] خضر موسى محمد حمود، *النحو والنحاة المدارس والخصائص*، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٣، ص: ٨٤-٨٦.

Vol. 02 No. 02 Juny -Des 2018
ISSN :2549-4813 E-ISSN : 2549-368X

"المصادر في القرآن" و "الجمع والتثنية في القرآن". وكانت وفاته في طريق مكة سنة سبع ومائتين.

ومن أئمة المدرسة الكوفية الذين بذلو جهودا كبيرة في تكوين المذهب الكوفي أبو العباس أحمد يحي ثعلب. وهو ثالث ثلاثة أسسوا المذهب الكوفي: أولهم الكسائي، وثانيهم الفراء، وثالثهم ثعلب فقد استطاع ثعلب أن ينتفع بجهود الفراء عن سبيل الكتب التي ألفها الفراء لأنه لم يتمكن من الأخذ عنه والتلمذة على يديه، لأن ثعلبا ولد سنة ٢٠٠ هـ، وكانت وفاة الفراء سنة ٢٠٧ هـ، فلم يتمكن من الأخذ عنه، فلما كبر عكف على كتب الفراء قراءة واستظهارا. وقد أسهم تلاميذ ثعلب في تقوية المذهب الكوفي مثل علي بن سلمان الأخفش، وإبراهيم بن مُحَمَّد الملقب بنفطويه، وأبي بكر الأنباري، وأبي بكر السراج، وأبي إسحاق الزجاج.

ب – خصائص النحو في الكوفة

إن سكان الكوفة لم تكن بيئتهم مثل بيئة البصريين في الصفاء اللغوي، ولم تتهيأ لهم العوامل التي تجعل منابع لغتهم نقية، فقد أخذوا عن قبائل أقل فصاحة، وكان اشتغالهم بالنحو متأخرا عن اشتغال الكوفيين. فلذلك تميز نحاة الكوفة بعدة الخصائص الآتية[٢٢]:

الأول: أن نحاة الكوفة يميلون إلى الترخص في الأحكام النحوية، ولم يتشددوا في تطبيق القوانين النحوية وقواعده، يقيسون على ما عده نحاة البصرة شاذا.

والثاني أن موقف نحاة الكوفة في الترخص وعدم التشدد نتيجة طبيعي لموقفهم من المرويات اللغوية من جهة، ومن القراءات القرآنية من جهة أخرى. إنهم تسامحوا في أخذ المرويات اللغوية عن كل واحد من الأعراب ولم يخطئون أحدا منهم

[٢٢] عبد الكريم مُحَمَّد الأسعد، *الوسيط فى تاريخ النحو العربى*، ص: ٤١-٤٣.

وحرصوا على احترام كل ما روي عنهم والأخذ به ولم يحملوا أي كلام منهم خالف قواعدهم على الضرورة أو التأويل أو الشذوذ، فهذا من جهة. ومن جهة أخرى إنهم كانوا يؤمنون بأن كل القراءات القرآنية سنة متبعة يلزم الإعتداد بها والمضير عليها، فالتزموا بها وبنوا قواعدها عليها، فلم يسمحوا لأنفسهم بتأويلها أو التردد في قبولها مهما كانت درجتها.

والثالث أن نحاة الكوفة التزموا بمنهج النقل من المرويات اللغوية والقراءات القرآنية وفضّلوه على العقل، وذلك بسبب صلتهم وتأثرهم بمنهج القراء، لأن الكوفة حينذاك مهبط المشتغلين بالقراءات القرآنية، مما جعلهم يعتمدوا على كل كلام العرب ويحتجون بأي شيء سمعوه من شعرهم ونثرهم، وجعلهم ايضا يبتعدون عن التقدير والحذف وغيرهما.

والرابع أن نحاة الكوفة استعملوا القياس وتوسعوا فيه، فقاسوا على المرويات الشاذة التي سمعوها وقاسوا على الشاهد الواحد الذي لم يرد غيره في كلام العرب مما يؤدي إلى كثرة القواعد على قدر الشواهد. بل ترخصوا في القياس النظري في بعض الأحيان وبنوا قواعدهم عليه من غير اعتماد على شاهد ألبتة.

والخامس أن نحاة الكوفة قبلوا بعض مصطلحات البصريين وأضافوا إليها مصطلحات أخرى، فعلوا ذلك بعيدا عن التعمل الفلسفي، حتى العوامل التي أقروا بوجودها وبدورها في الإعراب لم يمنحوا خصائص العلة العقلية ولم يفلسفوها، وهم إنما فعلوا هذا وذاك لأنهم كانوا في المعالجة للقضايا النحوية يلتزمون بالمنهج اللغوي الذي يعتمد على الرواية ويستبعد المنطق[٢٣].

[٢٣] ولمعرفة المصطلحات التي استقل بها الكوفيون فانظر: تمام حسان، *الأوصول دراسة أبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو فقه اللغة البلاغة*، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٠، ص: ٤٠-٤١.

Vol. 02 No. 02 Juny -Des 2018
ISSN :2549-4813 E-ISSN : 2549-368X

والسادس أن نحاة الكوفة اهتموا إلى الإستعمال وإلى دور الإستعمال وتأثيره في بنية الكلمة المستعملة أشد اهتمام خلافا للبصريين الذين قدموا تحكيم الأصول والقواعد على الجريان اللغوي وفضلوا الالتزام بقوانينهم على غيرها من المناهج والتوجهات.

ج – أشهر أئمة المدرسة النحوية في الكوفة

إن أشهر نحاة المدرسة الكوفية في نظر أهل الكوفة ثلاثة: علي بن حمزة الكسائي، أبو زكريا بن يحي بن الفراء، أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب.

فالكسائي هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، فارسي الأصل، نشأ في الكوفة وتعلم النحو إلى علماء العربية فيها، منهم معاذ بن مسلم الهراء وأبو جعفر الرؤاسي، ثم توجه إلى البصرة وتعلم إلى أئمة العربية فيها، منهم عيسى بن عمر والخليل بن أحمد الفراهيدي وغيرهما. فلما أعجب الكسائي بالخليل، سأل الكسائي أستاذه الخليل عن مصدر علمه قائلا: من أين أخذت علمك هذا؟ فأجاب الخليل: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة[٢٤]. فرحل الكسائي إلى تلك البوادي، وجمع منها مادة غزيرة عن الأعراب، فعاد إلى البصرة فوجد الخليل قد مات. وعندما رجع إلى الكوفة أخذ ينشر علمه ونهج منهجا خاصا دعم به مذهب الكوفيين. ومات الكسائي سنة ١٨٩ هـ.

أما الفراء فهو أبو زكريا يحيى بن زياد، فارسي الأصل، لقب بالفراء لأنه يفري الكلام أي يقطعه ويفصل القول فيه، ولد بالكوفة سنة أربع وأربعين ومائة للهجرة. تعلم النحو إلى أبي جعفر الرؤسي ولكنه لم يجد عنده كل ما يريده من علم اللغة، حتى يرحل إلى البصرة ويتعلم النحو إلى يونس بن حبيب، وقد تبحر في علوم

[٢٤] جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، بيروت، ج: ١٦، ص: ٣٢٤.

Vol. 02 No. 02 Juny -Des 2018
ISSN :2549-4813 E-ISSN : 2549-368X

مختلفة. وعاد إلى الكوفة بعد أن حمل كثيرا من علوم القرآن وقراءاته وتفسيره وعلوم العربية وأشعار الأعراب[٢٥]. وقد كان لدى الفراء قدرة فائقة على التحليل واستخراج الأقيسة والقواعد مما جعله مجتهدا في النحو ومعطيا للنحو الكوفي صورة نهائية، وهذه الصورة تمثل الخلاف مع نحاة البصرة في كثير من الأصول ووضع المصطلحات، وكذلك تمثل الخلاف مع الخليل وسيبويه في تحليل بعض الكلمات والأدوات وفي كثير من العوامل والمعمولات. وقد خالف الفراء البصريين في أربع مسائل أساسية وهي: عدم تفرقته بين الإعراب والبناء، والمصدر مشتق من الفعل، وإعراب الأفعال، ومسألة الأفعال وأقسامها[٢٦].

وأما ثعلب فهو أحمد بن يحي بن يسار الشيباني الإمام أبو العباس ثعلب، ولد ببغداد سنة ٢٠٠ هـ. إمام الكوفيين في النحو واللغة، وقد عنى بالنحو أكثر من غيره، تعلم النحو من حلقات تلامذة الفراء، منهم سلمة بن عاصم الذي يملي في حلقته على الطلاب كتب الفراء، وعلى هذا ابتدأ ثعلب النظر في حدود الفراء وهو في السادسة عشرة من عمره، فحفظ كتب الفراء كلها فلم يشذ منها حرف. وتعلم اللغة من الأعرابي ولازمه بضع عشرة سنة[٢٧]. وفضل أبي العباس عن غيره من أهل عصره هو حفظه للعلوم التي تضيق عنها الصدور. ولثعلب مصنفات من الكتب: المصون من النحو، اختلاف النحويين، معاني القرآن، معاني الشعر، التصغير، ما ينصرف وما لا ينصرف، ما يجزي وما لا يجزي، الشواذ، الوقف والإبتداء، الهجاء، استخراج الألفاظ من الأخبار، الأوسط، غريب القرآن لطيف، المسائل، حد النحو، كتاب الأمثال، الدواهي، الإيمان. ومات أبو العباس ثعلب سنة ٢٩١ هـ[٢٨]

[٢٥] شوقى ضيف، *المدارس النحوية*، ص: ١٩٢-١٩٣.

[٢٦] خضر موسى محمّد حمود، *النحو والنحاة المدارس والخصائص*، ص: ١٠٢.

[٢٧] شوقى ضيف، *المدارس النحوية*، ص: ٢٢٤.

[٢٨] جلال الدين السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، لبنان، المكتبة العصرية، ١٤٢٨ هـ، ص: ٣٩٦ – ٣٩٧.

Vol. 02 No. 02 Juny -Des 2018
ISSN :2549-4813 E-ISSN : 2549-368X

## الخلاصة

### الاختتام

بدأت دراسة النحو العربي من عصر أبي الأسود الدؤلي حيث أنه وضع الحركات الثلاث على شكل النقطة فوق الحرف وتحته وأمامه، ثم تطورت هذه الدراسة إلى وضع القوانين والقواعد النحوية المضبوطة على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يعد مؤسس المدرسة النحوية في البصرة. وتعلم إليه سيبويه الذي يعد إمام النحو في البصرة، وتعلم إليه أيضا الكسائي الذي يعد مؤسس المدرسة النحوية في الكوفة. والخلاف بين المدارسة النحوية في البصرة والكوفة تتركز في الإستشهاد لاستنباط القانون والقواعد النحوية، حيث أنّ دائرة الاستشهاد تتّسع وتضيق على حسب ميول المدارسة النحوية في البصرة والكوفة.

فالمدرسة النحوية في البصرة تشددت في رواية الأشعار والأمثال والخطب واشترطوا في الشواهد المعتمدة على وضع القواعد النحوية أن تكون جارية على ألسنة العرب وأن تكون كثيرة الإستعمال في كلامهم. وإذا وجدوا نصوصا تخالف قواعدهم فيتأولونها لتوافق قواعدهم أو يعتدونها شاذا. وأما المدرسة النحوية في الكوفة فقد اتسعت في رواية الأشعار والأمثال والخطب عن جميع العرب بدوا وحضرا، واعتمدوا على الأشعار والأقوال الشاذّة التي سمعوها من الفصحاء والمتحضّرين من العرب ممّن سكنوا حواضر العراق.

Vol. 02 No. 02 Juny -Des 2018
ISSN :2549-4813 E-ISSN : 2549-368X

## قائمة المراجع

ابن جني، أبو الفتح عثمان (دس) *الخصائص*، بيروت، عالم الكتب.

ابن خلكان، أبو العباس (١٩٩٤) *وفيات الأعيان*، بيروت، دار صادر.

ابن كثير، اسماعيل (دس) *البداية والنهاية*، بيروت، مكتبة المعارف.

الأسعد، عبد الكريم مُحَمَّد (١٩٩٢) *الوسيط فى تاريخ النحو العربى*، الرياض، *دار الشواف*.

الأفغاني، سعيد (١٩٨٧) *في أصول النحو*، ، بيروت، المكتب الإسلامي.

تمام حسان (٢٠٠٠) *الأوصول دراسة أبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو فقه اللغة البلاغة*، القاهرة، عالم الكتب.

الجمحي، ابن سلام (دس) *طبقات فحول الشعراء*، جدة، دار المدني١٢.

حمدان، محمود موسى (٢٠٠١) *مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين في ضوء النظر البلاغي*، القاهرة، مكتبة وهبة.

حمود، خضر موسى مُحَمَّد (٢٠٠٣) *النحو والنحاة المدارس والخصائص*، د.م، عالم الكتب.

الداني، عثمان بن سعيد (١٤٠٧هـ) *المحكم في نقط المصاحف*، دمشق، دار الفكر.

روّاى، صلاح (٢٠٠٣) *النحو العربي نشأته تطوره مدارسه رجاله*، القاهرة، دار غريب.

السنجرجى، عبد العزيز، مصطفى (١٩٨٦) *المذاهب النحوية فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة*، د.م، الفيصيلة.

السيوطي، جلال الدين ( ١٤٢٨ هـ) *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، لبنان، المكتبة العصرية.

السيوطي، جلال الدين (١٩٩٨) *المزهر في علوم اللغة، بيروت*، دار الكتب العلمية.

ضيف، شوقى (١٩٧٨) *المدارس النحوية*، القاهرة، دار المعارف.

Vol. 02 No. 02 Juny -Des 2018
ISSN :2549-4813 E-ISSN : 2549-368X

الطنطاوى، الشيخ مُحَمَّد (١٩٩١) *نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة*، د.م، دار المنار.

الطويل، السيد رزق (١٩٨٤) *فى أصول النحو وتاريخه الخلاف بين النحويين دراسة وتحليل وتقويم*، مكة المكرمة، الفصيلة.

علي، جواد (٢٠٠١) *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، بيروت، دار الساقي.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (٢٠١٠) *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*، بيروت، دار الكتب العلمية.

المخزومي، مهدي (١٩٥٨) *مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو*، القاهرة، مصطفي البابي الحلبي.

الوطواط، أبو أسحاق برهان الدين مُحَمَّد (٢٠٠٨) *غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة*، بيروت، دار الكتب العلمية.